عسّاف الذي مرّ الكلام عنهُ بواسطة قنوات بُنيت بالكلس والتراب. ولمّا اراد الغزيريون مؤخرًا استبدال هذه القنوات الترابيّة التي كان قد مرّ عليها نحو من ٤٠٠ سنة بقساطل حديدية عجبوا من صلابتها ومتانتها فكان العامل اذا ضرب عليها بالمعول كأنهُ يضرب على الصخر الاصمّ. وبالقرب من النبع المذكور جسر يُعرَف بجسر « الزلاقات » بناهُ ايضًا الامير منصور المشار اليهِ

وفي سنة ١٨٦٣ رغب داود باشا المتصرف الاول على لبنان ان يمدّ طريق العربات الى غزير دون ان يدفع ابناؤها غرشًا واحدًا فابى وقتئذٍ الغزيريون وسكّان القرى المجاورة. ثم لم يلبثوا ان التمسوا الطريق المذكورة في عهد متصرفيّة رستم باشا فأُجيب ملتمسهم وشرعوا في تخطيطها فأُعيد مرارًا حتى انفقوا عليها مبلغًا وفيرًا لم يشاركهم في شيء منهُ سكّان القرى المجاورة المنتفعة بهِ

فهذا ما ثبت عندي صدقهُ وبان لي امرهُ بعد البحث والاستطلاع فذكرتهُ في هذه اللمحة التاريخيّة. وقد تجنّبتُ كلّ ما يلوح عليهِ شبه الريب واللهُ من وراء الهداية

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

احببنا تتمّةً للفائدة ان نضيف الى المقالة السابقة ما عثرنا عليهِ من اخبار غزير فنقول:

لم نجد اثرًا لغزير في التواريخ القديمة على عهد الرومان وملوك القسطنطينيّة. ولعلّ اسمها السرياني (حمتا اي المكان المنقطع) كان يدلّ اوّلًا على الناحية التي بُنيت بعدئذٍ فيها غزير (١. ويظنّ الاب مرتين اليسوعي صاحب تاريخ لبنان انّ جهات غزير وما يليها كانت في الزمن القديم غابات كبرى يغلب عليها شجر السنوبر والسنديان كما ترى حتى الآن في الاماكنة المجاورة لها ويدلّ عليهِ اسم بيت خشبو (ومعناهُ الغابة) القريب من غزير

١) ويزعم بعض المحدثين ومن جملتهم الاب مرتين اليسوعي انّ اسمها عربي فيهِ اشارة الى خصب تربتها. واللهُ اعلم

امّا اصل البلدة فالمرجّح انهُ يرتقي الى اوائل القرن الرابع عشر. وذلك انَّ جيوش آقوش الافرم نائب الشام من قبل الملك الناصر (١ لمّا دخلت كسروان وتغلّبت على اهلها الروافض (٢ استقطنت تلك النواحي. قال صالح بن يحيى (المشرق ١: ٢٧٦): « واقطعوها التركمان فادركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمروا الى وقتنا هذا وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا به »

واشتهر بين زعماء التركمان المذكورين رجلٌ اسمهُ سليمان بن عراب التركماني (٣ فاخذ في تحصين نواحي كسروان ووجد جهة غزير من احسن المراكز لدفع هجمات العدوّ مع توسُّطها بين مشارف لبنان وساحل البحر فبنى حصنًا صغيرًا دعاهُ البرج واتزل فيهِ جنـدهُ وذلك عند كنيسة سيّدة الابراج الحاليّة. امّا اسم غزير فلم يَشِع الّا بعد ذلك بمدّة

ولمّا فتح السلطان الغازي سليم خان الاوّل بلاد الشام في سنة ١٥١٦ بطل حكم ملوك مصر في لبنان. لكنَّ الامراء التركمان ولاة كسروان نالوا من السلاطين العظام ان يقروا في امرتهم لما اظهروا من الولاء للدولة العثمانيّة. وكان زعيم التركمان وقتئذٍ الامير عسّاف فولّاهُ السلطان سليم بلاد كسروان وجبيل وامرهُ بحسن سياسة قومهِ والسعي وراء عمران بلدهِ ورتّب عليهِ مالًا يسيرًا وجعل على بلاد كسروان سنجقانيّ سلطانيّ فقط وكان مقدار السلطاني ثلثي القرش الاسدي واعطاهُ بذلك خطًّا شريفًا (٤. وكان الامير عسّاف يقيم اوّلًا عند عين شقيق وكان ينزل في الشتاء في عين طورا قلعًا شملتهُ الطاف السلطان سليم انتقل الى قرية غزير وجعل سكناهُ فيها. وتوفي سنة ١٥١٨ ودُفن في غزير

---

١) راجع المشرق ١: ٢٧٥

٢) ليس هؤلاء الروافض من الموارنة كما زعم البعض. بل كانوا قومًا من النُّصيريّة والخوارج كما يصرّح بالامر ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥)

٣) جاء في تاريخ الطائفة المارونية (ص١٢٥) ما حرفهُ: « وقيل انَّ جسر المامتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن مراب شرقي غزير وسمّي جسر المامتين لانهُ بين برج قصيب وبرج جونية » على انَّ حفرة الاب لامنس اثبت في المشرق (٢: ٤٢٩) ان جسر المامتين من الآثار الرومانيّة ولعلَّ التركمان اصلحوهُ فقط. امّا مراب فهي اثر روماني بلا مراء (راجع المشرق ٢: ٥٩٥)

٤) راجع تاريخ الموارنة للدويهي ص١٥٢

وفي عهد الامير عسّاف قدم الى غزير جدّ الشيوخ الحيشيّة الشيخ حيش بن موسى بن عبد الله بن مخائيل انتقل من يانوح الى غزير لما وجد في كسروان من الامن والطمأنينة. وكان اهل غزير سابقاً كلهم مسلمين فلمّا دخل بينهم الشيخ حيش ولقي عندهم حظوةً اقتدى بمثله غيرهُ من الموارنة فاتوا كسروان من جهات طرابلس لكنّ عدد المسلمين لم يزل اوفر من عدد النصارى. وفي سنة ١٥٤٦ اتى بنو حميد الى قاطع غزير

ثمّ تعاقب على ولاية كسروان ابناء الامير عسّاف السابق الذكر وهم لم يزالوا يجدّون في تحسين غزير مركزهم. واشتهر بينهم الامير منصور (١٥٢٣—١٥٨٠) وقد امتدّت ولايتهُ من نهر الكلب الى حماة. قال الشيخ طنوس الشدياق في اخبار الاعيان (ص ٣١٨): «وقد بنى سراية في بيروت وسراية في جبيل وسراية في غزير وانشأ بقربها جامعاً ومأذنة وحمّاماً وجنينة كبيرة واجرى لها ماء من نبع المغارة». وفي ايامهِ زاد نفوذ الشيوخ من بني حيش واتزلهم الامير منصور البرج الذي ابتناهُ الامير عسّاف وكان هو كبّرهُ وزيّنهُ فجعلهُ كقصر لهُ ثم قدّم بني حيش واستعملهم في مهمّاتهِ واتخذ منهم يوسف وسليمان لتدبير اموره فخوّلهما رتبة كاخية. وكانت وفاة الامير منصور سنة ١٥٨٠. فخلفهُ ابنهُ الامير محمد وتولّى الامر عشر سنين ثمّ قُتل غيلةً قتلهُ يوسف باشا ابن سيفا والي طرابلس واستولى على املاكهِ. ثمّ جرت حروب طويلة بين فخر الدين المعني وبين يوسف باشا انجلت عن استملاك بني سيفا على كسروان وكان متزلهم طرابلس يحكمون امراء من قبلهم على كسروان

وفي ايام بني سيفا خسرت غزير شيئاً من رونقها الذي اصابتهُ في ايام الامير منصور. وكان لآل حيش التقدّم على نصارى البلدة يسكنون البرج السابق ذكرهُ. وكان الامراء المعنيّون اعدوهم اياهُ بعد انقراض الامراء العسّافيين

وفي وسط هذا البرج اقام آل حيش معبداً صغيراً جعلوا فيهِ صورة العذراء مريم. ويزعم اهل غزير انّ الامر اوحي اليهم بمعجزة خاصّة اذ ظهرت انوار عجيبة فوق البرج مدّة ليالٍ عديدة. فاخذ نصارى البلدة يجتمعون في هذا المقام للصلاة ويكرمون الصورة اكراماً خصوصيّاً. ومذ ذاك اشتهرت في لبنان العبادة لسيدة الابراج. فكان الموارنة يأتونها من كلّ أوب ويقفون عليها الاوقاف وينذرون النذور حتى اضطرّ آل

حيش الى توسيع افنية المعبد ثمَّ ارسلوا الى الاستانة وطلبوا فرماناً من الباب العالي لابتناء كنيسة كبرى في اعلى الضيعة فصدرت الارادة السنيَّة تؤذن لهم بذلك فبنوا الكنيسة الرعويَّة وجعلوها ايضاً على اسم السيدة

وخلَّف آلَ سيفا في ولاية كروان الامراء الشهابيون وفي ايامهم تكاثر عدد النصارى في غزير وسكنها بعض شيوخ آل خازن وابتنى لهم الامراء الشهابيون فيها دوراً رحبة. اما المسلمون فكانوا يهاجرون الى المدن الساحليَّة وقلَّ عددهم حتى انهُ لم يبقَ منهم في بدء القرن التاسع عشر سوى بيتين. وفي سنة ١٨٢٠ لم يُرَ بين اهلها غير الموارنة

وفي غزير ولد الامير بشير بن قاسم الشهابي المعروف بالكبير كما صرَّح بذلك جناب الاديب نجيب باخوس. وُلد سنة ١٧٦٨ [١] في قصر جدّهِ الامير عبد الله والي كروان وهو القصر الذي اقتناهُ الآباء اليسوعيون [٢] سنة ١٨٤٤ فجعلوهُ مدرسة خرج منها قوم اجلَّاء من مشاهير رجال عصرنا منهم ثلاثة بطاركة وخمسة عشر اسقفاً وعدد غفير من الكهنة والرهبان والكتبة واصحاب السياسة. وعند الامير بشير في كنيسة سيدة الابراج كاتبهِ حسن وقد حافظ كلاهما على ذكر هذه الكنيسة الى وفاتهما. وفي وصيَّة الامير بشير الاخيرة التي كتبها في الاستانة قبل وفاتهِ سنة ١٨٥٢ هبة لسيدة الابراج تبلغ ثلاثين الف غرش

والحقُّ يقال انَّ سيدة الابراج اولت الامراء الشهابيين نعماً جزيلة من جملتها نجاة الامير حسن عمر الشهابي والي جبيل فانهُ لمَّا اعتقلهُ الجزَّار في عكا وكان يريد قتلهُ التجأ الى حماية سيدة غزير ووعد ان يرمم معبدها ويزيّنهُ اذا نجَّتهُ من هذا البلاء. ففي الليلة نفسها ظهرت لهُ البتول في حبسهِ وبشَّرتهُ بالخلاص. وفي صباح ذلك اليوم غيَّر الجزَّار افكارهُ واطلق سبيل الامير. فلمَّا عاد السجين الى غزير وفيها كانت سكناهُ اسرع الى القيام بوعدهِ

---

١) هذا تاريخ مولدهِ كما ورد في تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي وفي اخبار الاعيان للشيخ طنوس شدياق (ص ٣٨٦)

٢) ونظن ان هذا اصحّ مما رواهُ جناب الاديب نجيب افندي باخوس انهُ ولد في دار الكبوشيين وروايتنا تستند الى تواريخ رهبنتنا وقد دوَّن ذلك السيِّد ميخائيل في رحلتهِ

اما شيوخ غزير الحيشيون الذي كانت اليهم وكالة المعبد فقد نالوا من ألطاف البتول سوابغ النعم نخص منهم بالذكر الخوري اسطفان حيش الذي نجا من غرق اكيد اذ كان مسافرًا الى الاستانة بشفاعة سيدة الابراج. وهو الذي ابتنى الكنيسة الحالية باشر بها سنة ١٨٣٥ لكنها لم تتم الا بعد ذلك بمدة طويلة بهمة الخوري يوسف حيش. واهل غزير يحتفلون بعيد سيدة الابراج في ٩ آب. وقد دوّن ذكرها في سنكسار الكنيسة الماورنية مع ذكر القديسة فيلومينة

ترجام

يقال في اوّل احد من الصوم المقدّس

لفطرك المشرق اليًا الثالث ابن الحديثيّ المعروف بابي حليم

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

ابن الحديثي المعروف بابي حليم من مشاهير بطاركة النسطرة تولّى كرسي المشرق على الكلدان من سنة ١١٧٦ الى سنة ١١٩٠. وقد ذكرنا في مجاني الادب (٤: ٢٩٧) شيئًا من ترجمة حياته. ولهذا الرجل تصانيف عديدة بعضها بالكلدانية وبعضها بالعربيّة. ومن جملة هذه خطب بيعيّة بليغة المعاني رشيقة الالفاظ دعاها التراجم السنيّة للاعياد المارانية نشر منها قسمًا كبيرًا حضرة القسّ الفاضل يعقوب الكلداني الموصلي في مطبعة حضرات الاباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٨٧٣. وقد اسعدنا الحظّ على اكتشاف عشرين عظة أخرى لم تُنشر بالطبع منها هذه الخطبة التي احببنا اليوم ان نتحف بها القراء بمناسبة الصوم المقدّس. وعلى الله الاتكال ل. ش

الحمد لله المتعالي بوحدانيّة ذاته عن مماثلة الآحاد. والمتميّز بتثليث صفاته عن مشاكلة ضمّ الاعداد. المُسبَّح بالالسنة المختلفة وسائر اللغات. والمتخصّص باعلى المراتب الازليّة واشرف الصفات. الذي أطلع نجوم الاهتداء في سماء قلوب العلماء. وأروى أفهام الحكماء. بماء الحياة الابديّة النابع من قلب قليب معين الذكاء. وهدانا بارامرهِ الفضليّة الى رحاب خطائر الملكوت. ودعانا بفضل شرعهِ الاختصاصي الى جنان سرادق الجبروت. نحمدهُ حمد الراضين بنزارة المِيَر والاقوات. ونشكرهُ شكر الحماص الصابرين على ممرّ الساعات والاوقات